تقرير

شوقي عشقوتي

لا تطبيع ولا سلام قبل انتهاء الحرب "صفقة غزّة" ممرّ إجباري إلى الشرق الأوسط الجديد

للمرة الثالثة منذ عودة الرئيس الاميركي دونالد ترامب الى البيت الابيض، يأتي رئيس وزراء اسرائيل بنيامين نتنياهو، وهذه المرة للاحتفال مع ترامب بـ"الانتصار" الذي تحقق بضرب المنشآت النووية الايرانية، ووضع المنطقة على ابواب تحولات كبرى في الشرق الاوسط تعيد رسم المشهد الاقليمي برمته

بعدما كانت حرب غزة الشرارة التي فجرت الشرق الاوسط واخذته الى مكان آخر، فان نهاية حرب غزة تبدو مثابة ممر اجباري للانتقال الى مرحلة تشكيل الشرق الاوسط الجديد.

تعتبر ادارة ترامب ان ضرب إيران جعل من التوصل الى اتفاق في شأن غزة والرهائن امرا ممكنا واكثر سهولة، وان المنطقة دخلت مرحلة مؤاتية لوضع ترتيبات اقليمية جديدة عنوانها تعزيز الشراكات الامنية والسياسية بين اسرائيل ودول الخليج، وفي مقدمها السعودية. في حال تحققت هذه الشراكات، فلن تكون مجرد خطوة في مسار التطبيع الديبلوماسي، بل ركيزة اساسية لمنظومة امنية ـ سياسية اقليمية جديدة تخدم المصالح الاميركية الطويلة الامد، وتمنع إيران ومحورها من توسيع نفوذها او تحقيق مكاسب استراتيجية، وتقفل المنطقة امام الخصوم الدوليين (الصين وروسيا). بالتالي، فان واشنطن تمتلك مصلحة استراتيجية واضحة ومحددة في انهاء الحرب الان، ومعنية بتصعيد مستوى الضغط على اسرائيل لإقناعها بـ"صفقة غزة"، وبان الترتيبات التي تعدها ادارته لتوسيع "اتفاقات ابراهام"، وخصوصا ضم السعودية، لن يكتب لها النجاح اذا لم توقف اسرائيل حربها على غزة. فالحرب في غزة تبقى عاملا معطلا لأي توسع حقيقي في التسوية الاقليمية، وهو ما يفسر اندفاع الادارة الاميركية الى الضغط لإنهاء الحرب. على ان الحل ليس مرتبطا بالرغبة الاميركية فقط، بل بالوضع داخل الحكومة الاسرائيلية نفسها، التي تضم اصواتا ترى في مواصلة القتال وسيلة للحفاظ على زخم المواجهة، وتحقيق اجندة خاصة بإيديولوجيات متطرفة.

من هنا، جاءت زيارة نتنياهو الى واشنطن لمحاولة حل هذه المعادلة الصعبة، مما يجعل منها اختبارا حقيقيا لقدرة البلدين على تحويل الزخم المحقق

في المنطقة الى انجاز سياسي طويل الامد؛ علما ان ما يجري الحديث عنه اليوم ليس صفقة صغيرة، ولا مجرد تعديل في السياسة الخارجية، بل محاولة لإعادة تكوين عميقة للعلاقات في المنطقة، بإغراء العائد السياسي والامني المنتظر من ايقاف الحرب في غزة.

هنا لا بد من الاخذ في الاعتبار التغيير الحاصل في الوضعية السياسية لنتنياهو، وفي علاقته مع ترامب:

- اولا: ساهمت حرب إيران في تعزيز شعبية نتنياهو وحزب الليكود الذي يتزعمه، ووفرت له الفرصة للظهور بأنه منقذ اسرائيل من التهديد الوجودي الايراني. هذا الامر يمنحه نوعا من الحصانة في مواجهة خصومه في الداخل ممن يتهمونه بربط حرب غزة بمصالحه وبقائه سياسيا. بالتالي، فان نتنياهو في امكانه الان ان يقدم اي وقف للنار في غزة على انه سيحمل الى اسرائيل مكاسب استراتيجية لم تكن متوافرة من قبل، وكانعكاس للتراجع الايراني وللتحولات الكبرى التي احدثتها الحرب. استطرادا، فان نتنياهو جاهز لملاقاة ترامب في سياسته وخططه.

- ثانيا: حرب إيران رسخت العلاقة التحالفية بين ترامب ونتنياهو، بعدما ازالت نقطة التباين الاساسية التي كانت تدور حول كيفية التعامل مع الخطر النووي الايراني عن طريق المفاوضات والاتفاق، ام عن طريق القوة العسكرية. الان، يبدو ان ترامب استقر على اعتبار نتنياهو الشخصية الاسرائيلية الاكثر ملاءمة لمواكبة المرحلة المقبلة. فالإدارة تدرك ان تغيير الحكومة في اسرائيل، او المخاطرة بمجيء رئيس حكومة آخر غير نتنياهو، قد يؤديان الى تعقيدات وعراقيل، ستكون فرصة هذا الاخير في صدها اعلى مما يتوافر لأي شخصية اسرائيلية اخرى، ما يعني ان الدعم الاميركي لنتنياهو ليس دعما شخصيا او سياسيا فقط، بل استراتيجي ايضا يهدف الى ضمان استمرارية المشروع الاميركي في المنطقة، واعطائه فرصة أكبر لتنفيذه كاملا.

يعبر ترامب عن ارتياحه الى تطورات الوضع في غزة الذي يسير في الاتجاه الصحيح. وللمرة الاولى يذكر نتنياهو عبارة انهاء الحرب، ويؤيد دعوة ترامب الى الانتهاء من ملف الحرب على غزة لبحث اليوم التالي في القطاع، وللبدء بمسار السلام والتطبيع مع دول عربية عدة تشترط جميعها وقف الحرب. لكن نتنياهو لا يرى طريقة لإنهاء الحرب في غزة الا وفق تصوره وشروطه، وابرزها:

ـ نزع سلاح حركة حماس وابعاد قياداتها الى الخارج.

- ان لا يكون لحماس اي دور في حكم او ادارة قطاع غزة بعد الحرب.

- السماح لمن يرغب من سكان غزة في المغادرة.

- ان يتضمن اي اتفاق لوقف النار بند للتفاوض يتيح لإسرائيل تجديد عملياتها العسكرية ضد القطاع في حال لم تتجاوب حماس مع المطالب والشروط الاسرائيلية، او في حال تخلفت عن الايفاء بالتزاماتها.

هذه الشروط تعني ان الهوة سحيقة بين اسرائيل وحماس، وان صفقة انهاء الحرب لم تنضج بعد،

> **ضم السعودية الى "اتفاقات ابراهام" غير ممكن قبل توقف حرب غزة**

لا في الميدان حيث ما زالت حماس تحتفظ بقدرة على المواجهة والصمود، ولا في السياسة حيث لحماس شروط مضادة ابرزها:

- الحصول على ضمانات تتعلق بعدم استئناف الحرب والانسحاب الاسرائيلي واعادة الاعمار.

- ان لا يكون الاتفاق مجرد هدنة وتبادل رهائن، وان يكون اطلاق كل الرهائن جزءا من اتفاق ينهي الحرب.

المشكلة الان ان نتنياهو يرى ان انهاء الحرب حاليا يعني تفكك حكومته، فيما هو يتطلع الى تفكيك حماس وانهائها وشطبها من المعادلة، ولن يوقف الحرب قبل تحقيق هذا الهدف.

من وجهة نظر إسرائيل، كان وقف إطلاق النار يعني الحصول على خيارات لمواصلة القتال، وليس التزاما بإنهاء الحرب. وهو ما يتعارض مع مطالب حماس بوقف دائم للأعمال العدائية وانسحاب للقوات الاسرائيلية من القطاع. واشارت تقارير اسرائيلية الى ان نتنياهو ابلغ بن غفير وسموتريتش بأن الحرب لن تنتهي الا بعد نزع سلاح الفصائل الفلسطينية. كما يحاول نتنياهو فرض اهدافه في الوصول الى وقف إطلاق النار عبر تهدئة لإطلاق الرهائن لامتصاص غضب اهالي الرهائن، وفي الوقت نفسه يحتفظ بحق استئناف القتال في اي وقت. ويتخوف نتنياهو من انه إذا أنهى الحرب فانه سيواجه المحاكمات التي ستنهي رئاسته للحكومة في اسرائيل، لذا يناور ويحاول اقناع الرئيس ترامب بمخاطر انهاء الحرب، باعتبارها المبرر الوحيد لاستمرار حكومته حتى الانتخابات المقبلة المقرر اجراؤها في نهاية تشرين الاول 2026. ويعتقد المحللون ان نتنياهو يريد مواصلة الحرب الانتقامية على غزة حتى يتمكن من كسب نفوذ سياسي كاف لإسقاط القضايا المرفوعة ضده وبناء قاعدة شعبية كافية لبقائه في السلطة.

لأول مرة منذ وقت طويل، اصبحت الامور واضحة، ولم تعد النيات مخفية خلف سلسلة من التصريحات المتناقضة. فالرئيس ترامب يرغب في استثمار ما يصفه بـ"النصر الكبير على ايران"، لفرض نظام اقليمي جديد في الشرق الاوسط. وبالنسبة اليه، المحطة الاولى هي غزة. مع ذلك، وكالعادة، لا يزال هناك عقبات تعترض الطريق نحو الهدف. تتخوف حماس من الوقوع في فخ. يخشى التنظيم من ان يفرج عن الاسرى مرة اخرى من دون تحقيق هدفه الاساسي: انهاء الحرب بشكل نهائي، مع الحفاظ على أكبر قدر ممكن من قوته المتبقية. اما نتنياهو الذي يدين كثيرا لترامب، بعد ان ساعده في الحملة ضد إيران، وتصرف عكس موقف الغالبية في قاعدته في الحزب الجمهوري، فلا يزال يحاول الحفاظ على مخرج ما يبقي على ائتلافه السياسي حيا.

لا يزال الصراع بين المصالح واضحا. فبينما تسعى حركة حماس الى هدف نهائي هو انهاء الحرب، مع تقديم الحد الادنى من التنازلات عن "اصولها" (الاسرى والجثامين)، يحاول نتنياهو تحقيق العكس تماما، تقليص عدد الاسرى الاسرائيليين الذين تحتجزهم حماس، من دون التوصل الى حل نهائي، خوفا من ان يؤدي ذلك الى تفكيك حكومته. في هذه الاثناء، هو يراهن على عامل الوقت. اما ترامب، فيبدو كأنه يسعى الى تليين مواقف الطرفين لتحقيق اهدافه. فيما يتعلق بنتنياهو، فانه يريد استدراجه، خطوة خطوة، نحو الالتزام بصفقة جزئية تفتح الطريق امام صفقة كاملة لاحقا. اما بالنسبة الى حماس، فهي تطالب بالحصول على ضمانات من خلال قطر، بان اسرائيل لن تستأنف الحرب بعد الهدنة، مثلما فعلت في آذار الماضي. في الخلفية، يلوح ترامب لنتنياهو بإغراءات اضافية، مثل امكان توسيع "اتفاقيات ابراهام" لتشمل دولا اضافية.

في المدى الطويل، يسعى ترامب الى انشاء تحالفات اقليمية جديدة بقيادة اميركا، وتطبيع العلاقات بين السعودية واسرائيل. والى جانب انهاء الحرب، يأمل في ان يحقق بذلك هدفا اضافيا: الفوز بجائزة نوبل للسلام هذا العام.